

الرقية كبديل للعلاج العضوي والنفسي في المجتمع الجزائري وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية

Ruqyah as an Alternative to Physical and Psychological Treatment in Algerian Society and Its Relationship to Social Upbringing

إبراهيم هياق *

جامعة الوادي (الجزائر)، haiag-brahim@univ-eloued.dz

تاريخ الاستقبال: 2024/11/06؛ تاريخ القبول: 2025/04/18؛ تاريخ النشر: 2025/10/01

ملخص: تعمل التنشئة الاجتماعية على توجيه السلوك الإنساني فهي كما يرى "دور كايم" عملية استبدال للجانب البيولوجي للكائن الحي بأبعاد اجتماعية وثقافية تصبح موجهات أساسية لسلوك الفرد في المجتمع. إن موضوع الرقية تتداخل فيه الجوانب النفسية والاجتماعية فالمؤثرات الاجتماعية على الأفراد تجد لها أرضية خصبة داعمة في شقها النفسي للبحث عن وقاية أو علاج غير أن الامتداد الأفقي لظاهرة الرقية كبديل عن العلاج العضوي أو النفسي يؤثر لحالة من اللاتوازن النفسي والاجتماعي. تسعى المقالة إلى البحث في الموضوع برؤية واقعية واستشرافية تقترح من خلالها حلولاً لمشكلة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الرقية؛ العلاج العضوي؛ العلاج النفسي؛ التنشئة الاجتماعية.

Abstract:

Social upbringing guides human behavior. As "Durkheim" sees it, it is a process of replacing the biological aspect of a living being with social and cultural dimensions that become fundamental drivers of individual behavior within society. The topic of Ruqyah (spiritual healing) intertwines psychological and social elements, as the social influences on individuals provide a fertile ground that supports the psychological inclination toward seeking protection or treatment. However, the widespread reliance on Ruqyah as an alternative to physical or psychological treatment signals a state of psychological and social imbalance.

This article aims to explore the topic with a realistic and forward-looking perspective, suggesting solutions to the study's problem.

Keywords: Ruqyah; physical treatment; psychological treatment; social upbringing.)

I - تمهيد:

إن الصحة والمرض يشكّلان مدار اهتمام الكائن البشري منذ الأزل فالسعي لتجنب الأمراض والرغبة في الصحة كانت ولا زالت ملازمة لحياة البشر فالسلامة الجسدية ليست بمعزل عن السلامة النفسية، ففي غالب الأحيان يوجد ارتباط وثيق بين الأعراض السريرية التي يحددها المعالج العضوي والحالة النفسية للمريض، لذا كان لجوء الإنسان لشتى الوسائل لتحقيق سلامته الجسدية انطلاقاً من الجوانب النفسية، مستعملاً كل الوسائل التي يستطيع أن يضمن لنفسه العلاج مما أصابه، واستجابة لعجزه أمام ما ألم به يلجأ إلى وسائل غيبية معتقداً بجودها في وصف العلاج، فكان للسحر والشعوذة من خلال السحرة والكهّان ومحترفي النصب والاحتيال نصيباً معتبراً من تبني هذه الوسائل، بالاستناد على فطرة التدين الطبيعية من خلال الإيمان بالغيبيات والخواص لدى البشر لوصف التمايم والنذور رغبة في تحقيق المراد، والإسلام كدين مجدد وجد نفسه وجهاً لوجه مع ظاهرة مرتبطة برغبة شديدة لدى المجتمع بمارسها منذ حقبة زمنية مديدة، فكان لا بد من البديل من خلال إضفاء الشرعية على هذه العملية وضبطها بمحددات من الكتاب والسنة، ومنع انحرافها حتى لا تكون ضربة من ضروب الشعوذة، غير أننا نسجل طغيان هذه الظاهرة في المجتمع، بحيث لم تعد مقتصرة على شريحة معينة بل طالت كل الفئات وأصبحت مهنة من لا مهنة له، مما يدفعنا للتساؤل حول الدوافع الأسباب التي تجعل اللجوء لمثل هذه الأنماط العلاجية منتشراً والعزوف عن العلاج المؤسس على مبادئ علمية عضوية كان أم نفسياً؟؟ وما هي علاقة التنشئة الاجتماعية للفرد بهذه السلوكيات؟؟

1. تعريف الرقية

1.1- لغة: يفيد لسان العرب بأن أرقاه تعني تهدئة الإنسان، لذا فإن الرقية هي التعويذة أو الحماية والتحصين والوقاية، من كل ما قد يلحق الضرر بالإنسان، والجمع رُقَى وتقول استَرْقَيْتُهُ فِرْقَانِي رُقِيَةً، فهو رَاقٍ، ورجل رَقَاءٌ: صاحب رُقَى. يقال: رَقَى الرَاقِي رُقِيَةً وَرُقِيًّا إِذَا عَوَّذَ وَنَفَثَ فِي عَوْدَتِهِ، قال ابن الأثير: الرُقِيَّةُ العُوذَةُ التي يُرْقَى بِهَا صَاحِبُ الْآفَةِ كَالْحُمَى وَالصَّرَعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآفَاتِ (أبي أحمد بن محمود، 1997، صفحة 9). فالرقية هي "العوذة والجمع رقى واسترقاه فراقه يرقيه رقية بالضم فهو راق". (أبو مالك حسن، 2004، صفحة 9)

2.1- اصطلاحاً: الرقية هي الألفاظ الخاصة التي يرجى من خلالها نزول الشفاء وذهاب البأس والألم، والشفاء من الأمراض والأسقام والأسباب المهلكة، ولا يقال لفظ الرقى على ما يحدث ضرراً بل ذلك يقال له السحر، وهذه الألفاظ منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين ومنها ما هو غير مشروع كرقى الجاهلية والهند وغيرهم وربما كان كفراً. (طارق بن علي، 2004، صفحة 55).

والرقى تسمى أيضاً العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله (ص)، من العين والحمى. (حسن رمضان، 2004، صفحة 142).

فالرقية هي قراءة آيات من القرآن الكريم وأحاديث واردة عن النبي (ص)، على المريض مرة أو عدة مرات طلباً للشفاء من الله ورجاء للبرء، سواء كانت هذه القراءة على المريض بشكل مباشر أو بواسطة القراءة على ماء للشرب أو الاغتسال.

2 - مشروعيتها من الكتاب والسنة

متعددة الآيات والأحاديث التي تشير إلى الرقية وجواز مشروعيتها، فالقرآن الكريم يتضمن آيات تحدث على التحصن بالآيات القرآنية من كل وسوسة، فهو شفاء لما في الصدور من أمراض وعلل نفسية، " وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" (الإسراء، آية 82)

"وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (فصلت، آية 36)

"قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا" (مريم، آية 18)

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ". (الفلق)

أما السنة النبوية المطهرة فتضمنت أحاديث تبيح استعمال الرقية، في حديث عائشة قالت أمرني النبي (ص)، أو أمر أن يُسترقى من العين. (العزیز، 2002، صفحة 667).

وعن أم سلمة أن النبي (ص) رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال "استرقوا لها فإن بها النظرة". (المرجع نفسه، صفحة 667).

عن عبد العزيز قال دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك، فقال ثابت: يا أبا حمزة اشتكيت، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله (ص)، قال: بلى، قال: "اللهم رب الناس مذهب البأس، أشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقماً" (المرجع نفسه، صفحة 667).

3- الأسباب المؤدية لانتشار ظاهرة الرقية في المجتمع المعاصر: مقارنة سوسيوأنثروبولوجية

إن ظاهرة الرقية تمتد في عمق التاريخ الإنساني، عرفت الشعب والأمم كوقاية من الأمراض خاصة المرتبطة بالنفس البشرية و مخاوفها من المجهول، وطرد الأرواح الشريرة التي يُعتقد أنها تسكن النفس البشرية، والعرب كغيرهم من شعوب المعمورة عرفوا هذا النوع من التطبيب إن جاز التعبير، فالكهان العرب اتبعوا عادات وتقاليد طبية أو وقائية معينة شاع أمرها فيما بينهم، ودرجوا على إتباعها في حالات معينة، وآمنوا بفعالية الأحجار والرقى، والتماائم والخرزات والعزائم يستخدمونها لأمراض وإصابات مختلفة: (غالب، 1982، الصفحات 54-55).

➤ التخلص من بعض الآلام والأمراض.

➤ اكتساب الثقة بالنفس عند مقابلة الحكام أو الخصوم.

➤ التعجب إلى الناس.

➤ تجنب الآفات عامة وإصابة العين خاصة.

حاول العرب كغيرهم من البشر البحث في أسباب بعض الظواهر الطارئة على الجسم كرمش العين المتواصل وخدر الرجل أو الأصابع، ويذهب الألوسي إلى أن هؤلاء كانوا يعتقدون أن الرجل إذا خدرت رجله ذكر من يحب، أو دعاه فيذهب خدرها، وأن من اهتزت أو اختلجت عينه إذا قال "أرى من أحب" فإذا كان غائبا توقع قدومه وإذا كان بعيدا توقع قربه، فيذهب اختلاج واهتزاز عينه. " (المرجع نفسه، صفحة 55).

وداوى العرب في الجاهلية بالرقى والتماائم، فهذا عروة بن حزام في معرض حديثه عن جبه لعفراء، يستعرض ما قدمه له العرافون من رقى دون جدوى، ورغم أنه شاعر من عصر الإسلام إلا أن استشهاده كان بما كانت العرب تستخدمه في مجال التطبيب حيث يقول: (فروخ، 1981، صفحة 111).

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر إن هما شفياني

فما تركا من حيلة يعلمانها ولا رقية إلا وقد رقياني
فقالا شفاك الله والله ما لنا فيما حملت منك الضلوع يدان

إن موضوع الرقية تتداخل فيه الجوانب النفسية والاجتماعية، فالمؤثرات الاجتماعية على الأفراد تجدها لها أرضية خصبة داعمة في شقها النفسي للبحث عن وقاية أو علاج من ما لحق الجسم أو النفس من أمراض، وإن كنا لا ننفي موضوع الرقية الشرعية من خلال آيات الذكر الحكيم أو بعض ما صح من كلام سيد المرسلين (ص)، غير أن انحراف الرقية عن مسارها الطبيعي وأصبحت بديلا قويا للطب العضوي والنفسي، يلجأ إليها كل من شعر بألم مهما كان نوعه أو مصدره، دون أي محددات ضابطة ولا شروط على مستوى الممارس أي الراقي، حيث لا نحتاج لكثير من البحث في الوصول إلى حقيقة ممارسي الرقية، فهم في غالبيتهم من ذوي المستوى العلمي المحدود، يكفي أن يحفظ جزء من القرآن وبعض الأحاديث، حتى ينبري لممارسة هذه المهنة التي صارت مهنة من لا مهنة له، والظاهرة في تزايد مستمر يساهم الإعلام في تغذيتها، رغم أن الأصل في الرقية تحسن بآيات الذكر الحكيم، وليس مهنة يحترفها أفراد في المجتمع، وخوفا من ذلك حث النبي (ص) على تجنب الرقية والتوكل على الله حق توكله "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ، ولا يكتون ، وعلى رهم يتوكلون" رواه مسلم .

إن النبي (ص) من خلال الأحاديث النبوية الشريفة، أعطى للرقية مشروعيتها والتي قد تكون من خلال بعض الآيات والأدعية التي يقرأها المسلم على نفسه أو بعض أهله أو من يطلب منه ذلك، دون أن تتحول إلى مشجب يعلق عليه الفاشلون نكساتهم وأخطائهم، ساعين للحصول على ما لا يستحقون بفضل الرقية، مما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي حول الأسباب الكامنة التي تدفع بالأفراد إلى هذا السلوك، كيف يعزف الإنسان عن العلاج العضوي أو النفسي المؤسس على قواعد علمية تم الوصول إلى نتائجها بالبحث العلمي والتجارب الموثوق بنتائجها، ليتحول إلى علاج يعتمد على أمور غيبية وفي كثير من الحالات يستشعر الفرد أنها منافية للدين، رغم وجودها تحت مظلة الدين؟؟ وهل للتنشئة الاجتماعية دور في الإقبال المتزايد عن العلاج بالرقية؟؟

تعمل التنشئة الاجتماعية على توجيه السلوك الإنساني، فهي كما يرى "دور كايم" عملية استبدال للجانب البيولوجي للكائن الحي بأبعاد اجتماعية وثقافية تصبح موجّهات أساسية لسلوك الفرد في المجتمع. (ليلي، 2006، صفحة 193).

فالبعد الثقافي والاجتماعي هو محور عملية التنشئة الاجتماعية للفرد، وفي هذا يرى "تالكوت بارسونز" فيها غرس للأبعاد الثقافية والاجتماعية لبناء الشخصية الإنسانية، حيث تقوم الأسرة ومؤسسات المجتمع بتلقين الطفل قيم المجتمع وثقافته. (المرجع نفسه، صفحة 193).

تساهم التنشئة الاجتماعية بأبعادها الثقافية والاجتماعية كما أشار لذلك رواد علم الاجتماع، في اكتساب الفرد لمجموعة من الاتجاهات والقيم والسلوك المقبول في نظام اجتماعي معين، من خلال مختلف العمليات الاجتماعية التي يقوم بها الشخص، والتي تأتي بدورها بالنتائج الاجتماعي المطلوب. (عوض، 2006، صفحة 7).

ويرى فيها "أحمد زيدان" عملية التفاعل الاجتماعي التي تستمر طيلة حياة الفرد، والتي عن طريقها تكتسب المعرفة والاتجاهات والقيم وأنماط السلوك الجوهريّة، بالنسبة للمشاركة الفعالة في المجتمع. (أحمد زيدان، صفحة 184).

إن التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع بأبعادها الاجتماعية والثقافية، تعمل على غرس الاتجاهات المختلفة نحو موضوعات أساسية في حياة الفرد، تمس الحاضر والمستقبل والتفاعلات بين أفراد المجتمع، لتمتد لعالم الغيبيات كالجن والشياطين، وتأثر العين والحسد على اكتساب مميزات فردية خاصة، كالصحة والمال والعلم.... الخ.

إن التنشئة الاجتماعية في مجتمعاتنا العربية عموما والمجتمع الجزائري خصوصا، لم تتخلص من رواسب الماضي الإنساني وامتداداته الثقافية والاجتماعية في التعامل مع بعض القضايا التي تمس حاضر الفرد ومستقبله، فالخوف من الحاضر والرغبة في امتلاك المستقبل سواء بالتنبؤ أو بتوفير أسباب النجاح فيه، ونظرا لغياب الجوانب العقلية والعلمية في التعاطي مع هذه المواضيع، تحولت إلى فوبيا الخوف من الحاضر والمستقبل، واللجوء إلى سلوكيات قد لا تكون مقنعة حتى لمن ينجح للاسترشاد بها، لكنه يجد نفسه منقادا لهذه السلوكيات التي في أحيان كثيرة لا تتوافق مع الدراسات العلمية الحديثة والمفسرة للظواهر المختلفة، لأن التنشئة الاجتماعية تقود وتوجه سلوكياتنا وفق لما تم إعداده وبرمجته نحو موضوع ما في مرحلة عمرية بالغة الحساسية، ومن أهم المواضيع التي تلعب التنشئة الاجتماعية دورا بارزا في تكوين اتجاهاتنا نحوها، وتؤثر بدورها على أنماط سلوكنا تشكل الخرافات ركنا هاما من المعتقدات الشعبية التي تساهم في غياب الروح النقدية للظواهر والأحداث مما يضعف النفس البشرية، ويجعلها في حالة من الخوف الدائم من المجهول أي كان.

إن غياب المنهج العلمي الصحيح في التعاطي مع تفسير بعض الظواهر، يتم اللجوء لتفسيرات غيبية لا علاقة لها بالواقع ويصعب في هذه الحالة إخضاعها للتبرير العقلي، بل تحاط بهالة من القدسية ليصعب معها المناقشة، بل يصير الفرد مجبرا على التصديق، والتعامل معها على أنها مسلمات مما يساهم في استقرارها في الوجدان، "الأفكار والممارسات والعادات التي لا تستند إلى أي تبرير عقلي، ولا تخضع لأي مفهوم عملي، سواء من حيث النظرية أو التطبيق". (بدران، إبراهيم، 1997، صفحة 13).

إن التعامل مع القضايا والأفكار ذات الطابع الخرافي، قد تبدو مسلية وذات بعد نفسي وإعلامي وترفيهي، خاصة ما تعلق منها بقصص الأطفال من أجل غرس قيما معينة أو تنمية اتجاهات نحو موضوع معين، غير أن خطورتها تكمن فيما تخلفه من رواسب في النفس تجاه بعض القضايا، فالإيمان والتصديق بوجود قوى خارقة لا يمكن معرفتها ولا السيطرة عليها، تزرع في النفس البشرية الخوف من هذه القوى وبالتالي البحث عن الحماية والوقاية منها بأي شكل متاح.

غير أن التعاطي مع هذه الخرافات على مستوى التنشئة الاجتماعية في نطاق الأسرة والمجتمع، يختلف عنه في المؤسسة التربوية التي تحاول مناهجها قدر المستطاع المحافظة على الجوانب العقلية في مناقشة أهم القضايا والأفكار، ومن أهم القضايا التي ترتبط بتفكيرنا الخرافي وتؤثر على سلوكياتنا مستقبلا نوردتها فيما يلي:

➤ **الجن والعفاريت:** إن التعامل مع موضوع الجن والعفاريت يحتل في الوجدان العربي، مكانة مميزة فهو أداة لتخويف الأطفال الصغار وجعلهم خاضعين لأوامر الكبار دون مناقشة، لأن الأمر يتعلق بخرافة "شيخ القايلة" (القيلولة) في بعض المناطق يستخدم هذا المفهوم لترسيخه في وجدان الصبية بوجود شيخ جني يعاقب كل من يخرج زمن القيلولة، مما يكون له بالغ الأثر السلبي في النمو الانفعالي، "أو الأشباح التي تظهر ليلا أو في قيلولة الصيف، هذه الكائنات تسقط عليها صورا إنسانية، وتقوم مجموعة الخرافات حول علاقاتها ببني الإنسان، فهي تسكن الأرض السفلى نهارا لتخرج ليلا، فتعيث فسادا وغبوة". (حجازي، 2007، صفحة 146). ومن جهة ثانية

تتحول إلى مشجب يعلق عليه فشل الفرد في تحقيق ما يصبوا إليه، رادا ذلك إلى قوى أكبر منه متمثلة في الجن والعفاريت المتسببة في عدم تحقيق أمانيه، ومن هنا يبدأ في السعي للتخلص من هذا النحس الذي يلاحقه بسبب هذه الكائنات والقوى الخفية والقاهرة لطموحه وأحلامه. إن تنشئة أبنائنا على الخوف من الجن والعفاريت وتوصيفها بأنها قادرة على أن تخترق حياتنا يبسر لتستقر بيننا، وقد يبلغ البعض في أنها قد تسكن أجسادنا، وتنسج الأساطير والخرافات حول العلاقات الاجتماعية بين العالم الإنساني والعالم السفلي، من الجن والعفاريت، فكم من علاقات غرامية وحب وهيام وزواج وإنجاب، تم بين أفراد من العالمين سواء برغبة الطرفين أو عنوة وقهرا.

➤ **الحسد والعين:** إن الاعتقاد بأن الحسد والعين حق، تُستمد مرجعيتها من القرآن والسنة، غير أن كيفية التعامل مع موضوع العين والحسد في التنشئة الاجتماعية للأفراد، لم يراع الجوانب الحقيقة لهذا الموضوع من وجهة الدين الإسلامي، بل اختلط الأمر بالمعتقدات الشعبية وبعض الأفكار الوافدة نتيجة التماس الحضاري والفكري مع شعوب مختلفة من العالم، "فالاعتقاد بخطورة نظرة الحاسد وقوتها التدميرية الرهيبة، إذ تكفي نظرة واحدة ملؤها الرغبة في الامتلاك كي تحل المصيبة بالموضوع المحسود، ولذلك يخفي هذا الأخير ما يخشى عليه من العين (إخفاء الصبي المولود حديثا موفور الصحة والجمال، إخفاء المتاع والأثاث، التكتم عن الثروة، إفساد جمال وميزة الأشياء، حتى لا يتمناها الحاسد' (المرجع نفسه، الصفحات 152-153) كما أن السلوكيات التي يبدوها الكبار تجاه موضوع العين والحسد لها بالغ الأثر في ترميط سلوكيات الأطفال في الأسرة فتعلق صورة يد على الباب، واقتناء حذوة الحصان، واقتناء الخزرات الزرقاء، والألبسة الزرقاء لدفع العين وجلب الحظ، وأخيرا تعليق عجالات السيارات على جدران المنازل والفيلات لدفع شرور العائن والحسود، وقد بلغ بالبعض التكتم عن كل أمر حسن والمبالغة في إظهار كل سيئ، وتدعيم ذلك بأمثلة شعبية "لا يحسد المال غير أصحابه"، أي أن العين الشريرة لا يسلم منها شيء، كل هذا والطفل في مراحل العمرية الأولى يلاحظ ويشكل وعيه الاجتماعي بناء على ما يتلقاه من عالم الكبار، ليعاد إنتاج ثقافة الخرافة وتغذيتها في الأجيال اللاحقة بمزيد من التشدد والتطرف، وبكل أسف ومرارة صار الإنسان في علمنا العربي يخاف حتى من الضحك والسرور من الأعماق، فيعقب على كل ضحكة صادقة مدوية " اللهم اجعلها ضحكة خير " .

➤ **تفسير الأحلام والرؤيا:** يعتبر تفسير الأحلام والرؤيا مجالا خصبا للتعبير عن مكونات النفس البشرية، طموحات وأحلام، رغم أن تفسير الأحلام يتمتع باحترام كبير في الموروث التاريخي الإسلامي، نظرا لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من أهمية الأحلام وتفسيرها، غير أن التعاطي معها في الواقع الاجتماعي، لا يرقى للتصور الإسلامي لمعنى الأحلام، بل قد يساهم الحلم في تحسين دافعية الفرد لتحقيق ما يطمح إليه وقد يكون سببا في الانتكاسة، كل ذلك بسبب غياب العقلانية والمنهج العلمي الصحيح في تحليل ظاهرة الحلم، وترك المجال للتأويلات الشعبية بعيدا عن العلم والدين الصحيح، للأسف في الوقت الذي أمضينا سنينا طويلا لإنتاج أعداد كبيرة من كتب تفسير الأحلام، كان غيرنا يعمل بجهد لتحقيق أحلامه، وتحقيق النقلة النوعية للعلم من الأطر النظرية إلى الواقع مستخدمين كل التراكم المعرفي الذي تم انتاجه سواء في الفكر الإسلامي أو الغربي، لتحقيق أهم أهداف العلم ألا وهي القدرة على التعميم لتسهيل الاستخدام الأمثل للنظريات العلمية.

➤ **الاتجاه نحو العلاج النفسي:** يعتبر العلاج النفسي أو الخضوع لجلسات علاج نفسي بإشراف طبيب مختص، أمرا غير مرغوب فيه عند الكثيرين خاصة المثقفين منهم، نظرا للتصورات الخاطئة في أذهاننا عن الطب النفسي، فالكثير يربط بين الطب النفسي والمرض العقلي أو الجنون كما يتداول في المفردات الشعبية، فالتصورات الناتجة عن التربية والتنشئة الخاطئة تعزز النفور من العلاج النفسي، لصالح العلاج بأي

بديل آخر يكون العلاج بالرقية وخاصة أنها تلتحف بلحاف الدين، مما يكسبها مشروعية قوية، ولا يثير تجاه نوع العلاج أية مخاوف اجتماعية. إن التنشئة الاجتماعية التي يغيب فيها المنهج العلمي الصحيح، الذي يحترم العقل ويعلي من قيمة الإنسان بما ميزه الله من قدرات خارقة، ويشجع الفرد على امتلاك روح النقد والتعبير بكل حرية عن ما يلاحظه من ظواهر ويصله من أفكار، ولا يقبل إلا ما كان عن قناعة مبنية على أسس علمية، تؤدي إلى تنشئة أفراد غير مستقرين نفسيا ولا منسجمين اجتماعيا، يمكن لأي فكرة مهما كان مصدرها أن تستقطبهم، لأن الخواء الفكري والعلمي يمكن أن يتسبب في ذلك، وهذا ما جعل من موضوع الرقية ظاهرة استفحلت وانخرفت عن مسارها الطبيعي لتتحول في حالات عديدة لضرب من الشعوذة والاحتياال على أفراد يعاني الكثير منهم اضطرابات نفسية أو عضوية، تستدعي عرضهم على أخصائيين في هذا المجال، لكن التنشئة الاجتماعية التي تركز وجود عوامل غيبية تنظم شؤون الفرد وتتدخل في حياته، يجعله غير مقتنع بجدوى العلاج المستمد شرعيته من قوانين علمية ثابتة، لأن هذا الفرد يرى في حالته مرضا ناتج عن ظواهر غيبية وبالتالي فلا جدوى من علاجه بوسائل خاضعة للمنطق والعقل، وهنا تتجلى التنشئة على الخرافة بكل أبعادها وتحليلاتها.

4- مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في التصدي للظاهرة

إن انتشار ظاهرة الرقية كبديل عن العلاج العضوي والنفسي، يؤسس لغياب المنهج العلمي الصحيح في معالجة ما يتعرض له الإنسان من ضغوطات نفسية أو اضطرابات عضوية، وإن كنا لا ننفي دور الرقية الشرعية في التخفيف من بعض الأوجاع الخاصة النفسية منها، إلا أن ما نسجله هو الانحراف البين في دور الرقية، والتي جاءت بديلا لما كان شائعا في المجتمعات قبل بعثة النبي(ص) حيث كان سائدا بعض أنواع الرقى يتطبب بها المجتمع الجاهلي، فأبطلها النبي(ص) لأن في أغلبها ضرب من الشعوذة والدجل والشرك بالله.

إن التنشئة الاجتماعية التي تساهم في تكريس غياب روح الوعي الناقد، والتحليل العلمي للظواهر ونقولها بكل أسف، حيث يسجل لجوء الكثير من المثقفين وحاملي شهادات علمية لهذا النوع من العلاج، تحت ضغط انقطاع السبل نحو فعالية العلاج العضوي أو الخوف من العلاج النفسي نظرا للصورة النمطية في أذهننا عن العلاج النفسي، وهذا مرده للتنشئة الاجتماعية كما سبق ذكره، فالظاهرة تسترعي أن تتضافر جهود كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، في تطوير هذه الظاهرة، والعمل على إعادة تشكيل الوعي الصحي لدى الناشئة بما يعزز دور العلاج النفسي خاصة في كثير من الأمراض، وإن كنا لا نغفل دور كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المساهمة في ذلك، غير أننا نركز في هذا الدور على الأسرة والمدرسة والمسجد بشكل أساسي، دون أن نغفل مساهمة الآخرين خاصة وسائل الإعلام والاتصال.

أ- الأسرة: هي النواة الأولى التي يتشكل على مستواها وعي الطفل بكيانه، ويكتسب مبادئه الأولى وقواعد الحياة ضمن مجتمعه، خاصة في سنواته الأولى قبل الدخول إلى المدرسة، تكون الأسرة وخاصة الأم هي المصدر الوحيد للطفل في التزود بالمعارف والأفكار والقيم وبناء الاتجاهات، وهنا في موضوعنا نحتاج لتكوين وتوعية الأمهات بضرورة الاهتمام بتنشئة أبنائهن على قيم الحوار والنقد البناء والتعبير على أفكارهم، وتجنب ممارسة القهر وكل أشكال العنف التي من شأنها أن تساهم في انكفاء روح المنهج العلمي والنقدي البناء، لكل ما يعرض على الطفل في حياته، مما يكسبه مهارة النقد والتعبير بكل حرية، ومعرفة مكانم الخطأ والصواب والنفع والضرر، فنحن في حاجة لتكوين الأمهات أولا قبل الأبناء، وهنا يكون للجمعيات الثقافية والتربوية الدور المحوري في العملية، كما يمكن أن تساهم وسائل الإعلام المختلفة في حملة خاصة بذلك.

ب- المدرسة: قد تكون المدرسة المؤسسة الصامدة في وجه انتشار هذه الظواهر بفضل المناهج الدراسية، التي تحاول أن تتبنى مقاربات بيداغوجية فعالة تستجيب للتحويلات الحاصلة، محليا وإقليميا ودوليا، لكن المدرسة جزء من المجتمع الكبير، ومهما حاولت تكريس التوجه النقدي الحر وحسنت من مناهجها التربوية، تبقى في حاجة لدعم المجتمع بكل مؤسساته الفاعلة، فالعلاقة بين المدرسة والمجتمع علاقة عضوية فقد اعتبرها القانون التوجيهي للتربية شريكا اجتماعيا، فتوثيق الصلة بين المؤسسة التربوية بكل عناصرها والمجتمع، من خلال جمعيات أولياء التلاميذ بات أمرا ضروريا من أجل التنسيق الفعال لمجابهة الظواهر السلبية في المجتمع.

ت- المسجد: يساهم المسجد كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، في إعداد الأفراد وتكوينهم دينيا وتربويا، لذلك فدوره في التصدي لظاهرة انتشار الرقية بشكلها الحالي، وانحرافها عن مقاصدها الشرعية، يجعل من هذه المؤسسة في قلب الحدث من خلال تنظيم دروس الوعظ والإرشاد على شكل حملات منظمة في سلسلة بشكل منهجي، لتوعية أفراد المجتمع بضرورة التقيد بما جاء في الكتاب والسنة، والعمل على نشر الوعي الصحي، وأهمية المعالجة العضوية والنفسية، وأن الرقية ليست بديلا عن العلاج المؤسس على دراسات علمية.

ث- الجمعيات الثقافية والتربوية: تساهم الجمعيات التربوية والثقافية من خلال ما تقدمه من أنشطة في المحيط الاجتماعي، بنشر الوعي الصحي بين الأفراد وتنمية أنماط التفكير العقلاني والنقدي لدى الناشئة، وتعزيز السلوكيات السوية في التعامل مع جوانب الصحة النفسية والتخلص من كل الأفكار المسبقة والسيئة نحو العلاج النفسي.

ج- المراقبة القانونية للأنشطة المرتبطة بالصحة العامة:

يجب أن يسعى المشرع الجزائري لوضع منظومة قانونية تحارب الاستثمار في هذا المجال من قبل الرقاة والمؤسسات التجارية التي تسوق لبعض المنتجات، المرتبطة بما صار يعرف بالطب البديل، وضرورة إخضاع كل من يمارس نشاطا مرتبط بصحة الأفراد للمراقبة الصارمة على كافة المستويات وألا يترك الأمر بدون تقنين حتى لا يلج هذا المجال كل من أراد دون ضوابط علمية وقانونية. فالمنتجات التي تحضر في غياب الرقابة العلمية مع الخضوع للتحاليل المخبرية قد تساهم في استفحال المرض، هذا إن لم تتسبب في ظهور أمراض جديدة عند متعاطيها، ومن هنا صار من الواجب تقنين هذا النشاط بخضوع كل ممارس لبيع منتجات طبيعية (خلطات علاجية) لاستخدام صحي أن يستوفي شروطا تؤهله لذلك كالمستوى العلمي والخضوع لدورات تدريبية لتكوين رصيد معرفي حول الأعشاب والنباتات والعقاقير المستخدمة في ذلك.

5- الخلاصة:

إن انتشار ظاهرة الرقية في الوطن العربي عموما والجزائر خصوصا في العقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين، مؤشر خطير على غياب الوعي الصحي في المجتمع وتراجع فعالية المنظومة الصحية ليس من باب الانتشار الكمي والنوعي، بل من جانب نشر ثقافة صحية تكون سنداً للمواطن في اختيار أنماط الوقاية والعلاج من الأمراض، ونسجل ضعفا وتشويشا في مسائل تتعلق بالإيمان المطلق بالأمور الغيبية وتصديق الإشاعات والكذب على الدراسات الجادة والعلمية، وما يدل على ذلك ضعف الاقبال على تلقي لقاح "كوفيد" في المجتمع، مما يتطلب العمل على عدة مستويات لبناء ثقافة مجتمعية تكون ركيزتها الأساسية التنشئة الاجتماعية للفرد من خلال تبني اتجاهات إيجابية نحو الصحة بمنظور علمي مؤسس يتم الاحتكام في

مراحلها لما يتم التوصل إليه من نتائج البحوث العلمية بعيدا عن الخرافة واستغلال ما جاء في الدين الحنيف استغلالا سيئا، من فئة من المجتمع لا مأرب لهم سوى الكسب المادي بأي وسيلة كانت.

- الإحالات والمراجع :

ابراهيم الديب أبي أحمد بن محمود . (1997). الرقى الشرعية والتحصينات السبعة من الكتاب والسنة. البليدة -الجزائر: دار الإمام مالك.

أبو مالك حسن، س .(2004). الرقية بين الإنضباط الشرعي والتسيب في الممارسة .الجزائر: دار النجاح للكتاب.

أحمد زيدان، و .(s.d.). الأسرة والطفولة .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

الإسراء، آية82.(s.d.) .

العزیز، س. ب .(2002). مختصر صحيح البخاري(باب رقية العين) .السعودية: دار اشبيليا للنشر والتوزيع.

الفلق، س.(s.d.) .

المرجع نفسه.(s.d.) .

بدران، ابراهيم، ا .(1997). دراسات في العقلية العربية-1- الخرافة، ط2. بيروت: دار الحقيقة.

حجازي، م .(2007). التخلف الاجتماعي، ط10. الدار البضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي.

حسن رمضان، ف .(2004). التداوي بالقرآن .عين مليلة-الجزائر: دار الهدى.

طارق بن علي، ا .(2004). العلاج النفسي بالقرآن رؤية طبية نفسية شرعية .القاهرة: مؤسسة طبية.

علي ليلي .(2006). الطفل والمجتمع. القاهرة: المكتبة المصرية.

عمر فروخ .(1981). العرب حضارتهم وثقافتهم. بيروت: دار العلم للملايين.

عوض، ر. ص .(2006). التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

فصلت، آية36.(s.d.) .

مريم، آية18.(s.d.) .

مصطفى غالب .(1982). في سبيل موسوعة نفسية"تطور المعالجة النفسية". بيروت: دار مكتبة الهلال.